

مُحَاضَرَاتُ
الْإِسْنَادِ الشَّيْخِ جَعْفَرِ السَّجَّائِي

المدخل إلى العلم والفلسفة والآداب
نظريته المعرفية

بمَـلَم
السَّيِّدِ حَسَنِ مُحَمَّدٍ الْغَامِـلِيِّ

فهرست نویسی پیش از انتشار توسط : مؤسسه امام صادق علیه السلام

سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

نظریه المعرفة / تألیف جعفر سبحانی ؛ المقرر حسن محمد مکی العاملي . - قم : مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام ، ۱۴۲۹ ق. = ۱۳۸۷ .

ISBN:978-964-357-322-5

۱۸۰ ص.

۱. شناخت (فلسفه اسلامی). ۲. فلسفه اسلامی. ۳. خداشناسی. الف. مکی عاملي، حسن، ۱۹۶۲ - ، محرر. ب. مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام . ج. عنوان.

۱۸۹/۱

س ۸۵ / ۵۵ BBR

اسم الكتاب:	نظریه المعرفة
المحاضر:	آية الله العظمى جعفر سبحانی
المقرر:	حسن محمد مکی العاملي
المطبعة:	مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام
التاريخ:	۱۴۲۹ هـ. ق / ۱۳۸۷ هـ. ش
الكمية:	۱۰۰۰ نسخة
الناشر:	مؤسسة الإمام الصادق علیه السلام

E-mail: info@imamsadeq.org

http://www.imamsadeq.org

توزيع

مكتبة التوحيد

قم - ساحة الشهداء - ☎ ۰۵۷ ۴۵۴ ۷۷ و ۰۲۵ ۲۹۲ ۲۹۲۳۳۱ ، فاكس ۲۹۲۲۳۳۱

تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

« نظرية المعرفة » ، علم يبحث عن حقيقة المعرفة الإنسانية وقيمتها وأدواتها ، وما يرتبط بتلك من العوارض كمراحل المعرفة وحدودها وموانعها وغير ذلك ، وهو من العلوم التي عكف عليها الغربيون في القرون الأخيرة ، واضفوا عليه صبغة علم مستقل .

وقد بحث عنها الفلاسفة الإسلاميون في مختلف فصول علمي المنطق والفلسفة ، ولكنهم لم يفردها بالبحث المستقل . ولذا فقد طلب مني عدّة من أفاضل الجامعة الإسلامية ، قديماً وحديثاً ، أن أتقدم لهم بمحاضرات تشتمل على أكثر مسائلها ، مع التركيز على ما هو المحقّق في الفلسفة الإسلامية ، والتطرق إلى آراء الغربيين فيها ، فكانت تلك المحاضرات ، ثم كانت ثمرتها هذا الكتاب المائل بين يديك ، وهو نتيجة جهود ولدنا الفاضل المحقق العلامة الشيخ حسن مكّي العاملي - أدام الله توفيقه - وهو ممن يشار إليه بالأنامل ، بين الأمثال والأفاضل .

وقد بذل - أيّده الله تعالى - مساعيه وجهوده في ضبط بحوث هذا العلم ، وترصيف فصوله ، والرجوع إلى المصادر التي نقلت عنها ، وقد أبدع في كل ذلك وأجاد ، ببيان فائق خال عن الإيجاز المخل ، والإطناب المملّ ، وبعين الله ، فلقد أنحف المكتبة العربية والإسلامية بهذا الأثر ، وسدّ الفراغ الهائل الذي كانت تعانيه

في هذا المجال . فأسأله سبحانه أن يرفعه في سماء الكمال ، بجناحي المعرفة والعمل ، ويبلغ به المدارج العالية ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

جعفر السبحاني

٢٥ شهر رمضان المبارك

١٤١٠ هـ ق .

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله المتفرد في كماله ، والمتعالى في جلاله ، والمتجلي ببهائه وجماله ،
الذي أغرق الكائنات بفيض نعمه ، وكفى بوجودها بعد عدم نعمة وكرامة . ثم
خصّ منها الإنسان بوافر عطائه ، ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾^(١) ، حتى عادت ألطف
الموجودات له خاضعة ، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾^(٢) .

ولم يكن امتياز الإنسان عن سائر الكائنات إلا بعلمه ومعرفته ، ﴿ الذي
عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^(٣) ، وإنما سجدت له الملائكة لذلك ،
﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٤) .

وكرامة العلم والمعرفة التي بها كمال الإنسان وشرافته ، إنما هي ثمرة جهود
الأدوات التي جهّزه خالقه بها في ظاهره وباطنه ، ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ
أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾^(٥) : الحس

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٤ والإسراء : ٦١ . الكهف : ٥ . طه : ١١٦ .

(٣) سورة العلق : الآيتان ٤ و ٥ .

(٤) سورة البقرة : الآية ٣١ .

(٥) سورة النحل : الآية ٧٨ .

والعقل ، وما يتركب منها . وبها يكتسب ما لا يعلمه إطلاقاً ، أو يُخرج إلى الفعلية ما يعلمه بالقوة من الإدراكات الفطرية الأولية . وإنكار واحدة من تلك الأدوات ، نتیجته شلُّ الفكر الإنساني عن إدراك ما يحيط به من كونٍ ووجود ، غائب ومشهود . كما أن إثباتها مع إنكار كاشفيتها أو القول بنسبيتها أو الشك فيها ، نتیجته تخطئة المعارف والعلوم البشرية ، وسلب الإنسان ذلك الكمال .

وفي هاتين المرتبتين زلت أقدام الكثيرين ، فأنكرت جماعة أداة العقل كلية ، وحصرها آخرون في بعض المدركات الفطرية . وأنكر قوم كاشفية أدوات المعرفة ، وقال بعض بنسبيتها ، وشك آخرون في مطابقة معطياتها للواقع . وقد كانت هذه وخزات ، لا بل طعنات في صميم قلب المعرفة البشرية ، فأسدل الكثيرون الستار على الغيب ، وحجزوا مواهب الإنسان بين جدران ضيقة ، فابتعدوا عن الحق جلَّ شأنه ، وسقطوا بالتالي في الهاوية ، ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾^(١) .

فما أحوج كلَّ عالمٍ إلى التحقيق في قيمة المعرفة وأدواتها ، ليدرك حدودها ، ويبيِّن أطرها ، فلا يحجز نفسه عن علم وكمال ، ولا يسوقها إلى مهلكة وضباع .

وبين هذه وتلك ، مسائل على جانب كبير من الأهمية ، تصبُّ بأجمعها ضمن المحيط المرسوم أعلاه . ولثلاث نُجمل ونبهم ، نُلَمع إلى بعضٍ منها :

فبعد أن ندعن بأننا ندرك حقائق وقضايا ما ، كيف يمكننا أن نحكم بصدقها وخطئها ؟ وبعبارة ثانية : ما هو الملاك الذي يكون به الشيء حقاً أو باطلاً ؟ .

وبعد أن نعرف ذلك الملاك ، كيف نعرف بأن هذه القضية العلمية أو الفلسفية المطروحة أمامنا ، متصفة به ؟ وما هي الوسيلة التي بها نستكشف وجود ملاك الحقيقة أو الوهم في قضية من القضايا ؟

وفي البابين آراء وأنظار ، وللغربيين زلات وشطحات :

ففي الباب الأول : جعل بعضهم الحقيقة والبطلان دائرين مدار قبول المجتمع له ورفضه ، ويلاحظ ذلك لدى الفيلسوف الفرنسي « أوغست كونت »^(٢)

(١) سورة الحشر : الآية ٥٩ .

(٢) Auguste Comte ، (١٧٩٨ - ١٨٥٧) م .

في فلسفته الوضعية^(١) . وجعلهما آخرون دائرين مدار النفع والضرر ، كما هو ملاحظ لدى الفيلسوف الأميركي « ويليام جيمس »^(٢) في فلسفته البراجماتية^(٣) . وأخضعتهما النسبية الفلسفية^(٤) وأصحابها للظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالمدرک وللجهاز العصبي المسيطر على المدارك . وفي مقابل ذلك كله ، جعل الفلاسفة الإسلاميون لكل قضية واقعا ، تصدق إذا طابقت ، وتبطل إذا خالفت .

وفي الباب الثاني يرى الإسلاميون أن المعارف البديهية هي الحجر الأساس لتشخيص وجود ملاك الحقيقة والوهم في كل قضية ، وتعيين المعرفة الصحيحة من الزائفة ، بينما يرى « بيكون »^(٥) في فلسفته الحسية^(٦) أن التجربة هي المعيار . وبديهي - حينئذ - أن كل ما لا يمكن تجربته ، لا يمكن معرفة صدقه أو بطلانه ! . وجعلت الماركسية^(٧) ومن تأثر بها ، الغلبة علامة الحق وآيته ، والهزيمة ملاك الباطل وعلمه .

وبعد هذا كله ، ألا ترى لكل راغب في ولوج ديار العلم والمعرفة ، ضرورة طرق هذه الأبواب ، وحل هذه المسائل ، وتأسيس رأي قاطع فيها ، واتخاذ موضع حاسم من الآراء الأخرى المطروحة فيها ؟ .

هذا ما أخذناه على عاتقنا في هذا الكتاب إذ قمنا بتدوين مباحث حضرة الأستاذ الكبير ، علامة الفلسفة والكلام والإلهيات ، والتفسير والفقه وعلومه ، الشيخ الجليل جعفر السبحاني التبريزي وهو أشهر من أن أعرفه ، وآثاره تمخر شرق العالم وغربه .

ولقد سعيت قدر المستطاع إلى صياغة المعاني بعبارات تقربها إلى الأفهام ،

(١) . Positivism

(٢) William James ، (١٨٤٢ - ١٩١٥) م .

(٣) . Pragmatism

(٤) . Relativism

(٥) Francis Bacon ، (١٥٦١ - ١٦٢٦) م .

(٦) . Sensualism

(٧) . Marxism

وتُسَهِّل إدراكها ، لأنَّ المطلوب أولاً وأخيراً هو النفع والبيان لا الإلغاز والإيهام .
وأشرت إلى مصادره ، وبيّنت أعلامه ومذاهبه ، وعلّقت عليه بما يسعه ظرف
الكتاب . ولم تمض مسألة من مسائل هذا الكتاب إلّا وقد ناقشت حضرة الأستاذ أو
استوضحته فيها ، حتى خرج لك في هذا الثوب المتقن المرصّع المتناسق .

فأسأل الله سبحانه خلوص النية في أعمالي ، ﴿ وَلَئِنْ يَنَالَهُ التَّقْوَى
مِنْكُمْ ﴾^(١) ، وأن يتقبل هذا المجهود بأحسن قبوله ، ويعمّ به النفع في محافل
العلم والمعرفة ، ويطيل عمر سباحة الأستاذ ليبقى نوراً يُشع الضياء على دروب
المهتدين ، بنبّه محمد وآله الطاهرين ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

حسن مكّي العاملي

الجمعة ، السابع من شهر ذي القعدة الحرام

١٤١٠ للهجرة

(١) سورة الحج : الآية ٣٧ .



المقدمة

نظرية المعرفة والمعارف البشرية



مقدمة

نظرية المعرفة والمعارف البشرية

« نظرية المعرفة »^(١) علمٌ حديث أُسس في الغرب منذ ثلاثة قرون ، واهتم به الفلاسفة الغربيون اهتماماً بالغاً ، حتى خصَّ البعض منهم فلسفته بتبيين ما يرجع إلى المعرفة وأدواتها^(٢) .

والغاية المطلوبة من هذا العلم هي الوقوف على حقيقة المعرفة وأدواتها وحدودها .

ونظرية المعرفة ، وإن لم تُطرح في الفلسفة الإسلامية بصورة مستقلة ، غير أن إمعان النظر في مختلف أبواب الفلسفة الإسلامية وفصولها ، يوقف الباحث على أنهم طرحوا مسائلها متفرقة مبثوثة فيها ، ولم ينظروا إليها كعلم مستقل ، وسيظهر

(١) إن تعبيرنا بـ « المعرفة » في هذا الكتاب ، لا يراد منه ما هو الراجح عند الفلاسفة ، فإن المعرفة عندهم - تبعاً للغة - تطلق على إدراك الجزئيات ، فيقال : « عرفت زيدا » ، و « عرفت الله » ، ولا يقال : « عرفت الإنسان » . بل المراد هنا ما يرادف « العلم » ، الذي يتعلق بالجزئي والكلي على حد سواء . ولعلَّ استخدامهم لفظ « المعرفة » في مباحث هذا العلم ، إنما كان متابعة للأوروبيين ، حيث يستعملون لفظة : « إپستمولوجيا » (Epistemology) المرادف لـ « مبحث المعرفة » . ولذلك ربما استعملنا نحن في بعض المواضع لفظة « العلم » بدل « المعرفة » ، لاقضاء المناسبة ، ولا ضير في ذلك ، كما عرفت .

(٢) نظير الفيلسوف الألماني « كانت » (Kant) (١٧٢٤ - ١٨٠٤) ، فإن معظم فلسفته كانت تتلخص في هذا المجال .

لك ذلك من مباحث هذا الكتاب ، فتقف في كل فصل على آراء ونصوص من الإسلاميين في مواضيعه المختلفة . وهذا يدل على أنهم لم يكونوا غافلين عن الأهمية البالغة والأساسية لـ « أبحاث المعرفة » ، في بناء صرح المعارف البشرية .

وقبل الخوض في المقصود ، وتقليب فصول النظرية ، لا بد من الإشارة - ولو إجمالاً - إلى العلاقة القوية ، والصلة الوثيقة القائمة بين أبحاث نظرية المعرفة ومجمل المعارف البشرية ، فنقول :

إن من البواعث الحافزة على البحث في نظرية المعرفة ، أن تقييم جميع المناهج الفلسفية والعلمية يتوقف على المنحى والاتجاه المتخذ في هذا العلم . فما لم يتخذ العالم رأياً حاسماً في المسائل المطروحة في هذا العلم ، لا يصح له الإذعان بأي قانون فلسفي أو علمي .

توضيح ذلك : لا شك في أن هناك مناهج فلسفية مختلفة ، لكل منها نظرية كونية خاصة ، ولها أصول وقواعد . كما أن هناك علوماً تكوينية مدونة ، يبحث كل منها عن جانب وناحية من الكون ، كعلم الفلك ، وعلم الحيوان ، وعلم النبات ، وعلم الفيزياء ، وعلم الكيمياء ، وغير ذلك من أبواب العلوم التي أسسها البشر بجهود متوالية عبر القرون . وكل هذه المعارف تنصدر بالمعرفة بها ، فيقال معرفة الكون والوجود ، معرفة الأفلاك ، معرفة الحيوان ، معرفة النبات . . . الخ . فلا بد قبل الخوض في أي مجال فلسفي أو علمي من الوقوف على واقعية المعرفة الإنسانية ، ورفع الستار عن حقيقتها وبيان حدودها ، وطرق الوصول إليها ، وإلا فلن يعود شيء من تلك المناهج والعلوم بثمره . مثلاً :

١ - إن من المباحث الدارجة في نظرية المعرفة ، البحث عن واقعية ما يريه الذهن ، وأنه هل هناك وراء الذهن والصور الموجودة فيه عالم فسيح تحكي عنه تلك الصور ، أو أن دائرة الوجود منحصرة بالذهن والذهنيات وليس وراءها شيء ؟ .

فالواقعيون على الأول ، والمثاليون على الثاني ، على اختلاف الفريقين في مراتب الإثبات والإنكار .

فما لم تُحقّق هذه المسألة ، ويتكوّن فيها رأي قاطع ، لن تكون المناهج الفلسفية أولاً ، ولا العلوم ثانياً ، متّجة ولا مشعرة .

٢ - إنّ من المسائل المهمة في هذا العلم تقييم ما يريه الذهن بصوّره وإدراكاته . فَبَعْدَ الإذعان بأنّ هناك عالماً واقعياً وراء الذهن ، والإنسان جزء منه ، يقع الكلام في مدى صحة ما يعكسه الذهن عن ذلك العالم ، وأنّ الإدراكات الذهنية هل هي مطابقة للواقع مطابقة تامة ، أو أنّ ما يدركه الذهن شبح وظيف من الحقيقة ، وليس هو نسخة مطابقة للأصل ، بل هناك فروق ماهوية بين العلوم الذهنية والكونيات الخارجية .

ولا شك أنّه ما لم يثبت إمكان صلة الإنسان بالواقع الخارجي ، وما لم يتقرر مدى إراءة الذهن وصوره للواقع الخارجي ، فلن يقدر الإنسان على اتّخاذ أي رأي في مجال المعارف الكلية الفلسفية أولاً ، والكونية الطبيعية ثانياً .

وَمُجْمَلُ القول : إنّ المعارف الكلية والعلمية التي تحتل مكانة عالية عند البشر ، سواء أقلنا إنّ للعلم شرافة ذاتية بها ترتفع قيمة الإنسان كما بالجهل تنخفض ، أم قلنا إنّ شرافة العلوم وقيمتها ناشئة من إعانتها الإنسان في رفاه حياته المادية - على كل تقدير - إنّ تلك المعارف والعلوم ومجمل الأفكار البشرية ، لا يقام لها وزن ولا اعتبار ما لم تُعلم قيمة نفس المعرفة بأبعادها المختلفة ، وبالدرجة الأولى اتّخاذ موقف حاسم فيما يرجع إلى وجود عالم واقعي وراء الذهن أولاً ، ثم على فرض وجوده ، ببيان مدى قدرة الذهن وأدواته التي تجهّز بها ، على كشف ما وراءها ، هل تكشفه كشفاً تاماً ، أو أنّها لا تكشف إلّا عن صورة ناقصة له ؟ .

٣ - إنّ أدوات المعرفة العادية تتلخص في : العقل والحس . وهما وسيلتا اتّصال الإنسان بخارجه . وما يقف عليه الإنسان من المعارف والعلوم إنّما يقف عليه من طريقهما . فلزم لذلك معرفة تلك الأدوات والقوانين السائدة عليها معرفة تامة ، إذ بدون ذلك لا يمكن أن نستنتج بواسطتها معارف كلية أو علوماً كونية .

إنّ مَثَلَ الذهن ، الذي هو - بأدواته - الآلة الوحيدة للإدراك ، وكيفية عمله ، مَثَلُ آلة التصوير ، التي هي الآلة الوحيدة للمصور ، فكما أنّ المصوّر الماهر إنّما يقدر على التصوير المتّقن المُعْرَب عن الواقع ، إذا كان عالماً بنظرية آلة

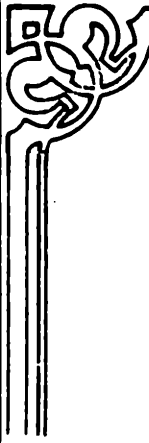
التصوير وكيفية تركيبها وصنعها وإعمالها والتحكم فيها ، وبدون ذلك يختل عمل التصوير ، ويفشل بالتالي في إخراج صور مطابقة للواقع ؛ فكذلك الحكيم والعالم الباحثين عن الحقائق ، يلزمهما التعرف على الذهن ، وأدواته ، وقدرة عمله ، وسائر خصوصياته .

فإذا كنّا نرى أنّ الباحثين في الفلسفة منقسمين إلى طائفتين : إلهية ترى نطاق الوجود أوسع من المادة ، ومادية تنظر إلى عالم الوجود بمنظار ضيق ، فتحصره في المادة والطاقة ، فما هذا إلا لاختلافهم في أدوات المعرفة . فمن يرى أنّ كلاً من العقل والحسّ أداة للمعرفة ، يقول بالطبيعة وما وراءها ، ومن يلغي العقل ويحصر أداة المعرفة في الحسّ ، ينجح إلى المادة وينكر ما وراءها .

إنّ هذه الوجوه ، وغيرها مما ستقف عليه في ثنايا الكتاب ، تُظهر المكانة المرموقة التي تحتلها « نظرية المعرفة » بين العلوم البشرية ، وأنها أساس كل معرفة ونظرية يتبناها الإنسان ، سواء أكان إلهياً أم مادياً ، وفيلسوفاً أم عالماً طبيعياً .

فما لم يتخذ الباحث موقفاً حاسماً في مسائل نظرية المعرفة ، لن يمكنه الإذعان بشيء من سائر المعارف ، فكأنّ نظرية المعرفة ، أبجدُ العلوم وألفباؤها ، فهي الحجر الأساس لكل رأي ونظر يتبناه العالم في كل من مجالي الفلسفة والعلم الطبيعي .





الفصل الأول

تعريف المعرفة



الفصل الأول

تعريف « المعرفة »^(١)

هل « العلم » بحاجة إلى تعريف ؟

الهدف من كل تعريف ، رفع الإبهام في المعرف ، وهو يتحقق بصور مختلفة :

فتارة بوضع مفهوم واضح مكان آخر مُبْهِم ، كما إذا سُئِلنا عن حقيقة اليورانيوم ، فنقول : إنه أحد العناصر المشعة .

وأخرى ببيان آثاره وخواصه ، كما لو سُئِلنا عن الياسمين ، فنقول : إنه زهر ذو عطر .

وثالثة ببيان العناصر التي تكوّن الشيء وتؤلفه ، كما في تعريف الماء بأنه : المركب من عنصرين : الأكسجين والهيدروجين . أو الملح بأنه المركب من : الكلور والصوديوم .

ورابعة ببيان ماهية الشيء ، كما تقول : الإنسان حيوان ناطق .

فعلى كل تقدير ، إنّ الهدف من التعريف هو رفع الإبهام . ومنه يعلم أنّ متى لم يكن حول الشيء إبهام أو إجمال ، فهو غني عن التعريف . ولعلّ المعرفة

(١) تقدّم أنّ المراد من المعرفة ، المعرفة بالمعنى الأعم ، وهو ما يرادف العلم .

والعلم من هذا القبيل . لأنها من الأمور التي يعايشها الإنسان في جميع لحظات وفترات عمره إلى أن تفارق روحه بَدَنَهُ . وهي من الآمال التي يطمح إليها كل إنسان في يومه وساعته . فلذلك لم نكن في حاجة مُبرمة إلى تعريفها .

وإلى ما ذكرنا ذهب الإمام الرازي (٥٤٣ - ٦٠٦ هـ) ، فقال بأن العلم أمر ضروري ، وهو مستغن عن التعريف ، واستدلّ على ذلك بوجهين :

الأول : إنّ عِلْمَ كُلِّ أَحَدٍ بأنه موجود ، ضروري ، أي حاصل له بلا اكتساب ونظر ، وهذا علم خاص ، متعلّق بمعلوم خاص وهو وجوده ، والعلم المطلق جزء منه ، لأنّ المطلق ذاتي للمقيّد ، والعلم بالجزء ، سابق على العلم بالكلّ . فإذا حصل العلم الخاص - الذي هو حاصل لكلّ أحد بالضرورة - كان العلم المطلق - الذي هو جزؤه - سابقاً عليه ، والسابق على الضروري أولى أن يكون ضرورياً ، فالعلم المطلق ضروري ، وهو المطلوب .

الثاني : لو كان العلم كسبياً معرّفاً ، فإمّا أن يُعرف بنفسه ، وهو باطل . أو بغيره ، وهو باطل أيضاً ، لأنّ غير العلم إنّما يعلم بالعلم ، فلو علم العلم بغيره لزم الدور ، لتوقف معلوميّة كل منهما على معلومية الآخر^(١) .

وفي مقابل ما ذكرناه من ضرورة العلم وعدم احتياجه إلى التعريف ، رأيان آخران نشير إليهما .

١ - إنّ تعريف العلم ليس ضرورياً ، بل هو نظري ، ولكن يعسر تحديده . وإليه ذهب إمام الحرمين أبو المعالي الجويني (٤٧٨ هـ)^(٢) .

وتبعه الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) في ذلك ، قال : يعسر تحديد العلم بعبارة محرّرة جامعة للجنس والفصل الذاتيين ، فإن ذلك متعسر في أكثر الأشياء ، بل في أكثر المدركات الحسيّة ، فكيف لا يعسر في الإدراكات الخفية^(٣) .

(١) شرح المواقف ، ج ١ ، ص ٦٢ - ٦٦ ، بتصرّف وتلخيص . وكان على الرازي الإكتفاء بما ذكرناه من دون إقامة البرهان على كونه بديهيّاً ، لعدم حاجته إليه .

(٢) شرح المواقف ، ج ١ ، ص ٦٧ .

(٣) المستصفى ، ج ١ ، ص ٢٥ ، بتصرف .

٢ - إنَّ العلم نظري ، ولا يعسر تحديده . وقد ذكر له المتقدمون والمتأخرون من الحكماء والمتكلمين والعلماء ، تعاريف شتى أكثرها باطل أو رديء ، نذكر بعضها منها فيما يلي .

التعاريف التي ذكرت للعلم

أ - ما ذكره المتكلمون

١ - نقل عن المعتزلة تعريفهم العلم بأنه : اعتقاد الشيء على ما هو عليه . وأضاف أبو هاشم الجبائي (٣٢١هـ) : مع سكون النفس إليه ^(١) .

وهذا التعريف رديء من جهات :

أما أولاً ، فلخروج التصوّر عنه ، لعدم اندراجه في الإعتقاد .

وأما ثانياً ، فلخروج العلم بالمستحيل ، عنه ، لأنه ليس شيئاً . والقول بأن العلم لا يتعلّق بالمستحيل مكابرة ، اللهم إلا أن يقال بأنّ الشيء يعمّ المعدوم والموجود ، والممكن والمستحيل ، كما هو المعروف من مذهب المعتزلة ، وهو باطل .

وأما ثالثاً ، فلدخول الظن الحاصل عن ضرورة أو دليل ظني ، فيه . ولأجل ذلك خصّ بعضهم الاعتقاد بالجازم .

وأما رابعاً ، فلدخول التقليد فيه ، إذا طابق . ولأجل ذلك زاد بعضهم لفظ : « عن ضرورة أو دليل » .

٢ - عرّف القاضي أبو بكر الباقلاني (٤٠٣ هـ) العلم بأنه : « معرفة المعلوم على ما هو عليه » .

وهو أيضاً ضعيف ، من جهتين .

الأولى : أنه مشتمل على الدور ، لأخذ المعلوم ، المشتق من العلم ، في

(١) أصول الدين ، للبغدادي ، ص ٥ .

تعريفه . اللهم إلا أن يعتذر عنه بأنه تعريف بشرح الإسم ، لا بالحد والرسم .
الثانية : أنه لا يصدق على علمه سبحانه ، لأنه لا يطلق عليه « المعرفة » ،
لأنها العلم بعد الجهالة .

٣ - نسب إلى الشيخ الأشعري (٢٦٠ - ٣٢٤ هـ) تعريفه العلم بنحوين :
تارة بقوله : العلم هو الذي يوجب كون من قام به عالماً ، أو هو الذي
يوجب أن يطلق على من قام به إسم العالم .

وأخرى أن العلم هو إدراك المعلوم على ما هو عليه .

أما التعريف الأول فإنه كما ترى ، لا يفيد تصوراً زائداً .

وأما التعريف الثاني ، فلا يفيد أمراً زائداً على ما قبل التعريف .

٤ - عرّف ابن فورك الأشعري (٤٠٦ هـ) العلم بأنه : ما يصح ممن قام به
اتقان الفعل ، أي إحكامه وتخليته عن وجوه الخلل^(١) .

ولكن هذا ليس تعريفاً للعلم ، إذ ليس كل علم يصح أن يقع مبدءً
للفعل ، كالعلوم النظرية البحتة .

ب - ما ذكره الحكماء

عرّف قدماء الحكماء العلم بأنه حصول صورة الشيء لدى العقل ، أو
انطباع صورته في الذهن ، سواء أكان الشيء كلياً أم جزئياً ، موجوداً أم
معدوماً .

وهذا التعريف أشهر ما ذكر للعلم ، ومع ذلك فهو ناقص من جهات عدة
نذكرها فيما يلي ، وعلى ضوء ملاحظتها يمكن إعطاء تعريف جامع للعلم .

الجهة الأولى - التعريف لا يشمل العلم الحضورى

إنّ هذا التعريف لا يشمل إلاّ قسماً من العلم هو العلم الحضورى . وأما

(١) لاحظ فيما نقلناه من تعاريف المتكلمين : شرح المواقف ، ج ١ ، ص ٦٩ - ٧٦ .